بسم الله الرحمن الرحيم

عوامل القوة والنصر وأسباب الهزيمة والضعف

أولاً – العناصر:

١- رمضان شهر الانتصارات .

٢- من عوامل القوة والنصر في القرآن الكريم:

أ- الإيمان الصادق والعمل الصالح.

ب- الصبر والثبات وتحمل المشاق.

ج- التوكل على الله عز وجل وحده، مع الأخذ بالأسباب

د- الوحدة والتآلف.

هـ- الإعداد الجيد.

٣- من أسباب الهزيمة والضعف في القرآن الكريم:

أ- الشقاق والاختلاف.

ب- التنافس على الدنيا.

ج – اقتراف المعاصي.

د- الإعجاب بالكثرة .

ثانيًا- الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١- يقول الله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: ٥٥].

٢- ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأنفال: ٤٥].

٣- ويقول تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ } [الروم: ٤٧].

٤- ويقول تعالى : {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [آل عمران: ١٦٠].

٥- ويقول تعالى: { وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً }[الطلاق: ٣].

٦- ويقول تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}[محمد:٧].

٧- ويقول تعالى: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} [الأنفال: ٦٠].

٨- ويقول تعالى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً }[آل عمران١٠٣].

٩- ويقول تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٦].

١٠- ويقول تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [آل عمران: ١٠٥].

الأدلة من السنة :

١- عَنْ أَبِي مُوسَى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»[صحيح البخاري].

١- وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[متفق عليه].

٢- وعَنْ ثَوْبَانَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): «يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا». فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ». فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهَنُ ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[سنن أبي داود].

٣- وعن عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْأَنْصَارِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ) هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنْ الْبَحْرَيْنِ فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافَتْ صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَلَمَّا صَلَّى بِهِمْ الْفَجْرَ انْصَرَفَ فَتَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حِينَ رَآهُمْ وَقَالَ أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ؟ قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ)[متفق عليه].

٤- وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب (رضي الله عنه) قال: سَمِعْتُ رَسُول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا) [سنن ابن ماجه].

ثالثًا – الموضوع:

إذا كان رمضان شَهْر التقوى والصيام، وشهر الصبر وتلاوة القرآن، وشهر النفقة والإحسان، فهو كذلك شهرُ الانتصارات ، وشهر الفتوحات، إذ منَّ الله تعالى فيه على الأمة الإسلامية بالنصر على أعدائها في المعارك التي خاضتها قديمًا وحديثًا، منذ عصر النبوة إلى عصرنا الحاضر، فما من غزوة من الغزوات، ولا معركة من المعارك خاضها المسلمون في هذا الشهر العظيم إلا وتحقق لهم النصر على أعدائهم، وكُتب لهم الغلبة والتمكين، وفي ذلك دلالة على قيمة هذا الشهر الكريم ومنزلته العظيمة عند الله سبحانه وتعالى، وفيه دلالة أيضًا على أن رمضان ليس شهر تكاسل وتقاعس ؛ بل هو شهر جدٍ واجتهادٍ ونشاطٍ وإقبالٍ على كل ما يرضي الله تعالى.

في رمضان وقعت غزوة بدر الكبرى حيث خاض المسلمون فيها أول معركة، فَرَّق الله فيها بين الحق والباطل ، وذلك في يوم السابع عشر من شهر رمضان المبارك في السنة الثانية للهجرة ، مرورًا بفتح مكة والذي تم – أيضا– في هذا الشهر المبارك في العام الثامن للهجرة ، وهو الفتح العظيم الذي تحطمت فيه الأصنام وثبت به الحق والصواب ، وزهق الباطل.

والمتأمل في التاريخ الإسلامي يجد كثرة انتصار المسلمين أيضا في شهر رمضان المبارك ، ففي عام ٦٥٨هجرية كانت موقعة عين جالوت التي انتصر فيها المسلمون على التتار، وفي هذا الشهر المبارك أيضًا كانت معركة القادسية التي انتصر فيها المسلمون على الفرس، وفي تاريخنا المعاصر كان انتصار العاشر من شهر رمضان، سنة ١٣٩٣ هجرية، ذلك اليوم التاريخي الفذ الذي

أعاد لمصر والوطن العربي والإسلامي مشاعر العزة والكرامة، فشهر رمضان هو شهر الفتوحات والبطولات والانتصارات.

وإذا كانت الأيام دولاً بين الناس بين نصرٍ وهزيمةٍ فإن للنصر أسبابه التي لا يتحقق إلا بها، وللهزيمة أسبابها التي لا يَحُول دون وقوعها إلا اجتنابُها، وقد جاء في القرآن الكريم وسنة النبي (صلى الله عليه وسلم) نصوص صريحة واضحة، تبين هذه الأسباب التي من أخذ بها فاز بحلاوة النصر ، ومن أهملها ذاق مرارة الهزيمة.

ومن عوامل القوة التي تساعد على النصر : الإيمان الصادق والعمل الصالح ، والصبر والثبات وتحمل المشاق ، والتوكل على الله عز وجل- وحده مع صدق الأخذ بالأسباب ، والوحدة والتآلف، مع التنظيم الدقيق والإعداد الجيد ....إلى غير ذلك من عوامل القوة والنصر.

فأما الإيمان الصادق بالله سبحانه فيتمثل في : طاعة الله تعالى ، والامتثال لأوامره ونواهيه ، وطاعة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، ويتجلى ذلك في قوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٥-٤٦].

فإن المسلم الحق يدرك أن النصر لا يأتي إلا من عند الله على عباده المؤمنين ما داموا ينصرون الله –حقّاً – سرّاً وعلانية ، وما داموا يستقيمون على منهج الله، بطاعة أمره واتباع رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُم}[محمد: ٧].

ومن نصرَه اللهُ – عز وجل – فلا غالِبَ له من الناس، ولن يضُرَّه خُذلانُ الخاذِلين ، قال تعالى : { إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } [آل عمران: ١٦٠]. وقال – جلَّ ذكره –: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ المَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ}[الصافات: ١٧١-١٧٣].

فاستكمال حقيقة الإيمان ومقتضاه من الأعمال الصالحة ، تحقَّق النصر والتمكين للمؤمنين ، قال تعالى:{ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ } [غافر:٥١] ، وقال تعالى : {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: ٥٥].

ومن ثمَّ فإنه ينبغي علينا أن ننصر الله تعالى بأقوالنا وأعمالنا وقلوبنا، ونصرنا لله تعالى يكون بتعظيم دينه وامتثال أمره وإعلاء كلمته وتحكيم شرعه والجهاد في سبيله، وانتصار النفس

على شهواتها وملذاتها ، ولا يتأتى ذلك إلا بعزائم صادقة وقلوب راسخة بالإيمان {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة: ٢١].

فحينما يترسخ الإيمان في قلب المؤمن يكسبه ثقة فيما عند الله- سبحانه وتعالى- فيركن إليه، ويتوكل عليه، ويطلب منه المدد والتوفيق، والنصرة والتمكين قال تعالى: {وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [آل عمران: ١٢٦]. فإذن لابد من إيمان صادق وعمل صالح.

كذلك من عوامل القوة وأسباب النصر : الصبر والثبات وتحمل المشاق ، فرمضان شهر الصبر وتقوية الإرادة وتكامل بناء الشخصية الإسلامية بشقيها الروحي والبدني، مع تحقيق التقوى والرقابة الدائمة لله عز وجل، وكل هذا يمنح المسلم من القوة ما يجعله يقف أمام أعدائه ثابت الجأش، قوي الإرادة ، يصبر ويصابر ويرابط إلى أن يحقق الله له النصر ، قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: ٢٠٠].

فالصبر الذي هو ثمرة الصيام ، هو أيضاً من أسباب النصر ، وقد قيل: " الصبر مع النصر "، والمسلم لا يتوقف صبره على مواجهة العدو في ساحة المعركة، بل إنه يشمل جميع نواحي حياته في طريق دعوته ودفاعه عن هذا الدين. فالصبر والثبات، والإكثار من ذكر الله، من أكبر الأسباب للنصر.

ومن عوامل القوة والنصر -أيضاً- : التوكل على الله عز وجل- وحده ، والاعتماد عليه ، مع صدق الأخذ بالأسباب :

فإذا وقع المسلم في كرب شديد فإنه يلجأ إلى الله رب العالمين داعيًا: حسبنا الله ونعم الوكيل؛ فإن من أسباب النصر : التوكل على الله عز وجل ، وصدق ربنا حيث قال:{ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ}[سورة يوسف: ٦٧]. فمع اشتداد الأزمة والشدة يكون الفرج القريب ، قال تعالى: {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} [يوسف: ١١٠].

ولقد أشار الله تعالى إلى حقيقة التوكل في المعارك مع الأعداء والاعتماد عليه فقال:
{ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}[سورة آل عمران:١٦٠]. يقول الشوكاني معقباً على هذه الآية: "من علم أنه لا ناصر له إلا الله سبحانه وأن من نصره الله لا غالب له، ومن خذله لا ناصر له، فوض أموره إليه وتوكل عليه ولم يشتغل بغيره" (فتح القدير).

كما أن النبي (صلى الله عليه وسلم) حثنا على التوكل على الله تعالى فقال: (لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا) (سنن ابن ماجه).

وقد نهانا ربنا سبحانه وتعالى عن التكاسل والتخاذل والتواكل، وأمرنا بالجد والإخلاص والمثابرة ، وهذا يقتضي الأخذ بالأسباب والإعداد العسكري والاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي ببناء الإنسان الصالح الساعي إلى عمارة الكون الذي يعرف حق وطنه عليه ويعمل لأجله .

ولقد رأينا في معركة العاشر من رمضان حينما عادت الأمة كلها إلى الله، القادة والجند، والأمة من ورائهم في المساجد، وصيحة الله أكبر في الميدان، لاحت بوادر النصر ؛ لأن منزل النصر ومدبره إنما هو الله- عز وجل -.

كذلك يضع الله عاملاً آخر للقوة وسبباً من أسباب النصر ، وهو : الوحدة والتآلف فيما بين المؤمنين ، فإن الإسلام هو الذي يوحد الأمة، فيجعلها تتماسك كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، ويؤدي إلى وحدة الاتجاه والفكر والشعور بحيث إذا اشتكى منه عضو اشتكى كله، فلا عداوة بينهم ولا تمييز بين عناصرهم، ولا صراع بين الطبقات لقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}[سورة الحجرات: ١٠] ، ويترتب على هذه الأخوة الحب والسلام والتعاون والوحدة.

وقد أكد هذا نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) بقوله: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى "(مسلم من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ)، وقال في حديث آخر: " الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ) (صحيح البخاري).

إن الوحدة والتآلف تؤدي إلى قوة الأمة وقدرتها على مواجهة التحديات ، وذلك بأن تكون صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص، وتكون أمة واحدة متآلفة متحابة فيما بينها ، قال تعالى:{وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ}[المؤمنون:٥٢].وقال تعالى:{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}[الأنبياء:٩٢].

ولا ريب أن توحيد الصفوف واجتماع الكلمة هما الدعامة الوطيدة لبقاء الأمة ودوام دولتها ونجاح رسالتها ، فينبغي توحيد الصف ، وجمع الكلمة ، والالتفاف حول هدف واحد ، وقيادة واحدة . قال تعالى:{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ}[الصف:٤] ، وهكذا كانت أخلاق السلف الصالح عملا بقوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا

وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [آل عمران: ١٠٣]. فلا نصر لقوم متفرقين مشتتين ، متباغضين متنافرين ، لا نصر إلا بصف مرصوص ، وقلوب متآلفة ، وأخوة غامرة...

وهذه قاعدة أساسية في الإيمان والإسلام ليكون المسلمون والمؤمنون أمةً واحدةً ، فلقد حث الإسلام على التعاون والترابط ، قال الله تعالى:{وتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى ولا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والْعُدْوَانِ }[المائدة: ٢].

كذلك من عوامل القوة والنصر : الإعداد الجيد ، فإن الجهاد في سبيل الله تعالى يحتاج إلى الإعداد الذي يواكب المرحلة التي يعيشها المسلمون ، فإن ذلك من أقوى عوامل القوة والنصر ، ومن ثمَّ يجب على الأمة التي تكون دائماً على مستوى المسئولية المنوطة بها، لذلك كان الأمر الإلهي بإعداد العدة :{ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}[سورة الأنفال: ٦٠].

ويتضح من هذه الآية أن الله تعالى أمر بإعداد القوة ورباط الخيل، وأن الهدف من ذلك هو إرهاب الأعداء وإخافتهم من عاقبة التعدي على بلاد الأمة، كما يتبين أن إظهار القوة للأعداء وإخافتهم، وإيقاع الرهبة والرعب في قلوبهم، يحقق النصر عليهم، ويحقق أهداف الإسلام أكثر من أية وسيلة أخرى من وسائل مواجهة الأعداء.

فالمطلوب أن نأخذ بجميع الأسباب المتاحة والميسرة في إعداد القوة من الوسائل الحديثة المعاصرة ، فالإسلام في جميع معاركه لم يعتمد على العدد فقط، ولا على كثرة الأسلحة والمعدات، وإنما ينظر إلى طاعة المسلمين وأخذهم بالأسباب المتاحة ، قال تعالى: {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ٢٤٩].

فإذا ما أعددنا العدة بقدر المستطاع ، وأخذنا بأسباب القوة والنصر، فإن الله تعالى يتكفل عباده بعد ذلك بالنصر والتأييد والتمكين.

أما إذا ابتعدنا عن أسباب القوة والنصر ، كانت الهزيمة والفشل والخذلان ، ومن الأسباب التي تؤدي إلى ذلك:

الشقاق والاختلاف : فإن الشقاق يضعف الأمم القوية ويميت الأمم الضعيفة ، ومن هنا فقد جعل الإسلام أول نصيحة لهم بعد انتصارهم في غزوة بدر حينما اختلفوا على الغنائم – أن يوحدوا صفوفهم ويجمعوا أمرهم ، قال تعالى : {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الأنفال:١].

ولقد جعل سبحانَه التنازع والاختلاف محلاًّ للضعف وداعيًا للسقوط في هوّة العجز والكسَل عن كلّ مصلحةٍ دنيويّة أو أخرويّة ، ولقمة سائِغة في مخالب الأعداء، فمن نظر نظرَةً في أحوال الشعوب ماضيها وحاضِرها ولم يكن مصابًا بموت القلب وعمَى البصيرة أدرَك سرَّ أمرِ الله في قوله : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا }[آل عمران : ١٠٣] ، وسرَّ نهيه سبحانه في قوله :{ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ } [الأنفال : ٤٦].

لقد نهت الآية عن التنازع والاختلاف والشقاق، فإن الشقاق إذا دبَّ في جماعة فرق أواصر المودة بين أفرادها، وزرع الأحقاد في نفوسها، وانشغلت بنفسها عن عدوها، ومن ثم كتب عليها الفشل في جهادها وجهودها لتحصيل مقصودها، فضعفت قوتها، وسقطت هيبتها، وزالت دولتها، والذي يبدو أن الذي يقضي على كيان الأمة ليس مجرد الاختلاف، وإنما هو الخلاف المبني على الهوى، وحب الظهور والاعتداد بالرأي، والتعصب له، إنها الأنانية التي تدعو صاحبها إلى التمادي بالباطل والغرور.

ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شديد الاحتراس والتحذير من عواقب الاختصام والفرقة والتنازع وكان في حله وترحاله يوصي بالتجمع والاتحاد في السلم وفي الحرب ، فعن سعيد بن المسيب قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (الشَّيْطَانُ يَهُمُّ بِالْوَاحِدِ وَالاِثْنَيْنِ، فَإِذَا كَانُوا ثَلاَثَةً لَمْ يَهُمَّ بِهِمْ)[موطأ مالك].

وقد شهد الواقع أن الشقاق والاختلاف يورث الفشل والهزيمة ، لأن التنازع فشل ، والفشل ضعف ، والضعف من أقوى أسباب الهزيمة ، ففي غزوة أحد حينما اختلف المسلمون وتنازعوا وخالفوا أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) لحقت بهم لطمة موجعة أفقدتهم سبعين شهيداً ، ومن قبل الواقع شهد رب السموات والأرض ؛ لذلك جاء النهي عن التنازع في قوله تعالى: { وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}[سورة الأنفال: ٤٦].

كذلك من أسباب الهزيمة والضعف : التنافس على الدنيا ، فإن التعلق بالدنيا ومحاولة التلذذ بملذاتها يؤدي بالمرء إلى الحرص على هذه الدنيا لدرجة الشعور بالبقاء الأبدي بلا موت حتى يصل به الحال أن يهون حال الأمة في نظره بالنسبة لحال دنياه وينسى قوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}[آل عمران:١٨٥].

لقد كان التعلق بالدنيا من البعض سبباً للهزيمة في غزوة أحد بعد النصر في بدايتها حيث أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله تعالى: {حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ}[آل عمران: ١٥٢].

وصدق النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث قال : (... فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخَشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ) (متفق عليه).

بل إن تداعي الأمم على المسلمين واحتلال أراضيهم وخيراتهم وأموالهم ناتج عن حب الدنيا وكراهية الموت ، وهذا ما أكده النبي (صلى الله عليه وسلم) في الحديث الشريف ، فعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا) ، فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : (بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ)، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهَنُ ؟ قَالَ : (حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ).(سنن أبي داود). وواقع الأمة اليومَ يجسّد هذا الحديث ويوضحه، فأعداد المسلمين كثيرة، لكنها لا تفرح صديقًا، ولا تخيف عدوًا، فهم غثاء كغثاء السيل.

ومن أسباب الهزيمة والضعف : اقتراف الذنوب والمعاصي ، فقد يبتلي الله تعالى الأمة بتأخير النصر أو تمكين الأعداء بسبب الذنوب والمعاصي، قال تعالى: { أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ}[آل عمران:١٦٥].

إن الوقوع في المعاصي من أكبر أسباب الهزيمة ، لأنها طريق الشيطان، فيستدرج من يطيعه حتى يبدأ بصغائر الذنوب ثم الكبائر التي يؤدي انتشارها في الأمة إلى الهزيمة ، ولقد حذرنا الله تعالى من الشيطان وألاعيبه عندما تحدث عن غزوة أحد حيث قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}[آل عمران:١٥٥].

فقد ذكرت هذه الآية المصاب الجلل في غزوة أحد حيث إنها جمعت موانع النصر وهي الذنوب والمعاصي، ولقد كان للشيطان عليهم سبيل بأن أوقعهم في الزلل، أي الهزيمة وعدم الثبات في المعركة بسبب مخالفة أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) مما أدى إلى تعطيل النصر وعدم تحقيقه، وهذه سنة الله تعالى لا تتخلف ولا تتعطل، وهي أن الهزائم لا تقع إلا بسبب أعمال يصيبها المسلم فتبعد عنه النصر ، وتقرب إليه الهزيمة.

إن اجتناب المعاصي والتحذير منها من أعظم أسباب فلاح الأمة ؛ فالمعاصي مفتاح لكل شر ومغلاق لكل خير ، وبسببها يتصدع كيان الأمة وتزول هيبتها ، وهذا ما فهمه المسلمون الأوائل رضوان الله عليهم، فقد تتابع وصية الأمراء والخلفاء إلى قوادهم في المعارك بطاعة الله والبعد عن المعاصي ، لأنها سبيل النصر، وهذا ما أكده عمر بن الخطاب في وصيته إلى سعد بن

أبي وقاص رضي الله عنهما ومن معه من الأجناد: أما بعد ، فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب. وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم. وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة....)(العقد الفريد).

فمن عوامل النصر : الابتعاد عن المعاصي، لأن المعاصي والآثام إذا اقترفها المسلمون تكون أشد خطرًا عليهم من أعدائهم ، والأشد خطرًا وإثمًا هو المجاهرة بالمعاصي، وهذا ما نشهده في أيامنا هذه، فإن ارتكاب المعاصي والآثام والموبقات والمجاهرة بها من أسباب إلحاق الهزائم المتكررة بالأمة.

كذلك من أهم أسباب الهزيمة والضعف : الإعجاب بالكثرة : فإن المسلم الذي يؤمن بالحق يدافع عنه بكل ما يملك، ولا يقعده عن ذلك قلة عدد أو انعدام العتاد، ويظل على تمسكه بالحق والدفاع عنه، حتى يظهره الله أو يموت دونه .. ويوم يزهو المسلم بمن معه من أعداد، أو لما معه من عتاد، فإنه يدخل في دائرة الإعجاب بالنفس والاغترار بالقوة والكثرة ، وهذا ما يؤدي به إلى الهزيمة ، فإن المسلمين حين يركنون لكثرة العدد ، ويعجبون بأنفسهم ، وينسون سندهم الأصيل بتخلُّف عنهم النصر ، وتكون الهزيمة ، كما وقع في غزوة (حنين).

ففي حنين أعجب المسلمون بكثرتهم وكانوا اثني عشر ألفاً فقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة، فقال تعالى مخبراً عن ذلك: {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شيئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة:٢٥،٢٦]. والحكمة في ذلك أن يعلم العباد أن النصر من عند الله تعالى ، وأن الأسباب ليست وحدها هي الكافية في الانتصار ودحر الأعداء.

هذه هي مقوِّمات النَّصر ، وأسباب الهزيمة ، فما أحوجَنا إلى التأمل والتدبر فيها لأخذ العبر والعظات ، وصدق الله العظيم: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج: ٤٠].

فالأمة التي تريد النصر – والنصر من عند الله – تنهض لأمر الله طاعة وعبادة والتزاماً ، عن إيمان بالله واليوم الآخر ، إيمان صادق تؤثر به الآخرة على الدنيا ، وتسعى إلى الآخرة كما أمر الله وبيّن وفصّل ، ولا تنسى نصِيبها من الدنيا لتكون قوة لها على درب الآخرة ، ولا تطلب الدنيا للدنيا.

ومن أهم أسباب الهزيمة والانكسار : الخلود إلى الراحة والكسل وعدم الأخذ بالأسباب ، فأمة لا تنتج غذاءها وكساءها ودواءها وسلاحها ولا تملك أسباب قوتها لا مكان لها في عالم اليوم ولا تستطيع أن تستقل بقرارها ، فلابد من أن نعمل ، وأن ننتج ، وأن نسعى إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي في جميع المجالات ولا يكون ذلك إلا بالجهد والعرق والصبر والمثابرة .

نسأل الله تعالى أن يهيئ لنا منْ أسبابِ النصرِ ما به نَصْرُنَا وعزتُنا وكرامتُنا ورفعةُ الإِسلام ، إنه جوادٌ كريمُ وصلَّى الله وسلَّم على نبِينا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِه أجمَعين .